اغتيال شيخ المقاومة في خطط واستراتيجية الصهاينة

23-3-2004

إن الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العبرية اتفقتا على تقاسم الأدوار فيما يتعلق بالقضاء على حركة المقاومة الإسلامية، ففي حين يكون الدور الإسرائيلي مواصلة عمليات الاغتيال للقادة السياسيين والعسكريين في الحركة، فإن الدور الأمريكي يتمحور في محاربة حماس على الصعيد العالمي، وأول خطوة في هذا المجال كانت الضغط الكبير على أوروبا لإدراج حماس على قائمة التنظيمات الفلسطينية المقاتلة. وقال قادة البيت الأبيض إنهم "سيواصلون ملاحقة حماس في أية بقعة في العالم، بما في ذلك الدول العربية لتجفيف مصادر تمويلها".

بقلم وسام عفيفة

منذ سنوات طويلة وحكومة الاحتلال تسعى بكل وسيلة ممكنة إزاحة حركة حماس من الخارطة السياسية والعسكرية, ووظفت في ذلك شتى الوسائل والضغوط الداخلية والخارجية, غير أن قناعات شارون والزمرة اليمينية بالذات كانت تؤمن بأن خيار التصفية والملاحقة والاعتقال هو الكفيل دائما بإضعاف حركة حماس والحد من قوتها, كما كانت تؤمن بأن هذه الحركة تشكل العائق الأكبر أمام فرض الحلول السياسية عبر اعتمادها خيار المقاومة والنهج العسكري. وقد مرت مراحل الحرب ضد حماس بأطوار كثيرة ومتعددة، كانت الأبرز فيها عمليات الاعتقال الجماعية في بداية الانتفاضة الأولى والتي شملت الغالبية العظمى من عناصر وقادة حماس, وقد شهدت السنوات ما بين 88-94 عمليات استنزاف واسعة للحركة عبر عمليات الاعتقال الواسعة والتصفيات, وبرزت عملية الإبعاد الجماعي عام 92 كأوسع ضربة توجهها حكومة الاحتلال إلى حماس بهدف إلغاء وجودها على الأرض الفلسطينية, غير أنها اضطرت في نهاية المطاف إلى إعادتهم. وحينما بدأت ظواهر التسوية السياسية في أوسلو، كانت حكومة الاحتلال تعتقد بأن حماس ستكون العقبة الأكبر في تمرير التسوية السياسية, حيث أصرت حماس على أنها لن تلتزم باستحقاقات اتفاق أوسلو وواصلت عملياتها العسكرية, وقد اعتقدت الحكومة الإسرائيلية أنها، بمساعدة السلطة الفلسطينية قادرة على تحجيم حركة حماس وتقليص تأثيرها عبر إعطاء السلطة الفلسطينية صلاحيات واسعة وإمكانيات معتبرة في المجال الأمني والتمويلي. غير أن فشل المسار السياسي وتراجع دور السلطة الفلسطينية وضعف ثقة الجمهور الفلسطيني بها عزز من قوة حماس وعمَق حضورها خاصة في انتفاضة الأقصى التي شنت فيها حماس عمليات هجومية واسعة أربكت كل الطروحات السياسية التي حاول الأمريكان تمريرها في المنطقة. الحكومة الإسرائيلية وجدت نفسها في أحيان كثيرة غير قادرة على كسر شوكة حماس, وكان بعض قادة الأجهزة الأمنية الفلسطينية يسخرون من ضباط الأمن الإسرائيلي حين يطلبون منهم العمل بقوة ضد حماس و يقولون لهم مكثتم هنا أكثر من ثلاثين عاما ولم تستطيعوا التغلب على حماس، والآن تطلبون منا ذلك ونحن الأقل قدرة وإمكانيات؟. وواضح أن سياسة إسرائيل أخذت بعدا آخر خلال انتفاضة الأقصى والتي شهدت تقدما كبيرا في شعبية وقوة حماس, فقد اتضح من خلال التصريحات لقادة الأمن والوزراء في الحكومة الإسرائيلية أن هناك توجها بإشعال حرب شاملة ضد حماس بهدف منعها من عرقلة المخططات الإسرائيلية, وقد وجدت الحكومة الإسرائيلية سندا قويا من البيت الأبيض بعد أن أقنعتها بأن "الحرب ضد الإرهاب" هو الذي يبرر حربها الواسعة ضد حماس. وكان وزير الجيش الإسرائيلي شاوول موفاز قد وجه عدة تهديدات للشيخ أحمد ياسين.

وكان رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال موشي يعالون أعلن في 19 يناير أن الشيخ ياسين يشكل "هدفا لعملية تصفية، إذ ليس هناك تمييز بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية لحماس". وأضاف آنذاك "لقد تجاوزنا مسألة شرعية عملية كهذه، والمسألة الآن باتت تتعلق بملاءمة /العملية / وبمصلحتنا".

وسبق أن تعرض الشيخ ياسين لمحاولة تصفية نفذتها إسرائيل في السادس من سبتمبر 2003. وقد تعرض لإصابة طفيفة في غارة جوية استهدفت المبنى حيث كان موجودا مع عدد من قادة حماس في غزة..

ومنذ ذلك الحين، امتنعت اسرائيل عن استهداف قادة سياسيين من حماس أو حركات فلسطينية أخرى، لكنها واصلت مهاجمة مسؤولين عسكريين في غارات محددة الأهداف. وقد جرت محاولة اغتيال الشيخ ياسين -ومعه إسماعيل هنية - قبل نحو شهور، وزعمت مصادر أمنية إسرائيلية أن وزير الجيش الإسرائيلي رفض اقتراح قائد هيئة الأركان العامة في جيش الاحتلال موشيه يعلون بإلقاء قنبلة على البيت الذي يوجد فيه الشيخ ياسين وعدد من القياديين بزنة أكثر من طن، لكن تقرر إلقاء قنبلة بزنة 250 كلغ فقط، الأمر الذي أدى إلى نجاة الشيخ ياسين والقيادي إسماعيل أبو هنية، على حد قولها.

وقال مصدر أمني إسرائيلي حينها، لقد أهدرنا فرصة ذهبية للقضاء على زعامة "الإرهاب"، ولو وافق موفاز على اقتراح يعلون بإلقاء القنبلة التي تزن طنا لحولنا البيت الذي يوجد فيه زعماء "الإرهاب" إلى قطعة من السجاد. وقال الشيخ ياسين حينها إن" المقاومة الفلسطينية على استعداد تام لتلقين العدو درسا قاسيا للرد على محاولة الاغتيال التي تعرض لها ونجا منها برفقة القياد في حماس إسماعيل هنية"، مشيرا إلى أن هذه المحاولة الفاشلة تؤكد أن جميع أبناء الشعب الفلسطيني مستهدفين من قبل إسرائيل .

وأضاف في هذا الصدد أن "كل ساحة العدو الإسرائيلي مفتوحة أمام الجناح العسكري لحماس لتنفيذ عملياته مثلما يمارس الإسرائيليون عدوانهم ضد كل فئات الشعب الفلسطيني وفى كل أراضيه". وقد أعلنت إسرائيل قبل أسابيع عديدة أن جميع قادة حماس ومن بينهم مؤسسها الشيخ أحمد ياسين هم أهداف محتملة للجيش الإسرائيلي. ونقلت الإذاعة العامة الإسرائيلية عن "مسؤولين كبار" أن "الحرب ضد حماس ستشن بلا هوادة، ولا يوجد أي قيود على ضرب قادتها ومن بينهم الشيخ أحمد ياسين". وقد سخرت إسرائيل, بصراحة, من إعلان الهدنة في يونيو من العام الماضي -في عهد حكومة أبو مازن-، إذ اعتبرت أن (الهدنة هي نجاح سياسي هائل لحركة حماس وأنها بهذا الفعل استقطبت تأييد مواقف من دول عديدة من بينها السلطة ومصر والاتحاد الأوربي كما أنها أحرجت إسرائيل أمام الرأي العام العالمي. غير أن إسرائيل ليست معنية بحل سلمي من أي نوع ولا بأرواح الإسرائيليين، إنها تريد استئصال المقاومة الإسلامية الفلسطينية بأي ثمن، وذلك لأنها الأكفأ بين المقاومين الفلسطينيين, ثم إنها خارج نطاق أوامر "السلطة" وترى الحكومة الإسرائيلية أن المواصفات الأمريكية الخاصة "بالإرهاب" تنطبق على "حماس" و "الجهاد" من حيث أنهما إسلاميتان وتعتمدان بالدرجة الأولى, العمليات الاستشهادية. وقد كان وزير الخارجية الأمريكية كولن باول صريحا بصورة محرجة لأبي مازن, حين اعتبر أن قدرته على تطويع هاتين المنظمتين "تطورا إيجابيا" ولكنه "غير كاف"، فالمطلوب هو استئصالهم!. ووصف باول حماس بأنها "عدو للسلام" ودعا إلى زيادة الضغوط الدولية عليها وعلى الجماعات "المتشددة" الأخرى، وقال باول إن عدو السلام هو حماس، وتابع "ماداموا .. ملتزمين بالإرهاب والعنف ورغبة في تدمير دولة إسرائيل، فأعتقد أن هذه مشكلة لابد من معالجتها بشكل كلي"، وتعهد باول بأن الولايات المتحدة "ستتعامل بالقوة " مع هؤلاء الذين يقفون وراء أعمال العنف والإرهاب. فحماس في نظر الإدارة الأمريكية "منظمة إرهابية" يتوجب التخلص منها للتوصل إلى التسوية السياسية!. وقد دعا الرئيس بوش الاتحاد الأوروبي للانضمام إلى الموقف الأمريكي في اعتبار "حماس" تنظيما إرهابيا، وطالما أن الولايات المتحدة مقتنعة تماما بأن "حماس" هي المنظمة التي تحول دون التوصل إلى سلام في الشرق الأوسط, فإنها ستفعل كل ما في وسعها لإقناع السلطة الفلسطينية بتفكيك وتدمير حركة المقاومة الإسلامية, إذا كانت تريد أن تُعامل بوصفها "سلطة مسؤولة", وشريكا في التسوية. وبعبارة أخرى, فإن بوش يعلن الحرب على "حماس", وليس فقط شارون, ومن ثم, فلا شك أن الولايات المتحدة تريد ضرب "حماس" و"الجهاد الإسلامي في فلسطين, بطريقة غير مسبوقة) انتهي تعليق الإذاعة الإسرائيلية.

وقد كشفت مصادر سياسية وأمنية إسرائيلية النقاب عن أن الرئيس الأمريكي جورج بوش رفض المطلب الإسرائيلي الذي قدم إليه لاغتيال الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات مباشرة بعد تقديم محمود عباس استقالته من رئاسة الوزراء، ولكنه وافق شخصيا على الخطة أل إسرائيلية باغتيال القادة السياسيين لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وعلى رأسهم مؤسس الحركة وزعيمها الشيخ أحمد ياسين.

وذكرت الصحف الإسرائيلية باللغة العبرية أن الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العبرية اتفقتا على تقاسم الأدوار فيما يتعلق بالقضاء على حركة المقاومة الإسلامية، ففي حين يكون الدور الإسرائيلي مواصلة عمليات الاغتيال للقادة السياسيين والعسكريين في الحركة، فإن الدور الأمريكي يتمحور في محاربة حماس على الصعيد العالمي، وأول خطوة في هذا المجال كانت الضغط الكبير على أوروبا لإدراج حماس على قائمة التنظيمات الفلسطينية المقاتلة. وقال قادة البيت الأبيض إنهم "سيواصلون ملاحقة حماس في أية بقعة في العالم، بما في ذلك الدول العربية لتجفيف مصادر تمويلها".